14me Année No. 693

Lundi—14—10—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٩٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٦٥ — ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

الضـــد والنقيض

فى الفلسفة المادية الثنائية

للاستـــاذ عباس محمود العقاد

تناولت فى كتابى الأخير عن ابن سينا خلاصة الفلسفة المادية الثنائية فقلت فى تلخيصها إن « من قوانينها اجتماع الأضداد فيها ربما يتغلب ضد منها على ضده بغير انقطاع لهذه المغالبة الدائمة ، وإن الصفة الكمية فيها تتحول إلى الصفة « الكيفية » فتنشأ الحياة كما ينشأ العقل من هذا التحول ، إما على التدريج وإما طفرة كما يظهر بعض أنواع النبات من الأنواع الأخرى ، فلا توجد كيفية إلا وهى نتيجة التغير فى الكمية ، ولا توجد حالة قط إلا وهى تنطوى على ما يناقضها ، فلا تبلغ تمامها إلا ظهر منها النقيض الذى تنطوى عليه ... »

وقد كانت هذه النبذة موضع ملاحظة بين بعض المشتغلين بالمباحث الفلسفية ، لأنهم وهموا أن إيراد النقيض والضد فى عبارة واحدة يدل على استخدامهما بمعنى واحد . وهما مختلفان

وتصحيح هذا الوهم أن النقيض يأتى بمعنى الضد ، لأن كل نقيض لشىء من الأشياء فهو ضده بلا استثناء ، ولا خطأ إذن من الوجهة العامة فى الجمع بين الكلمتين فى سياق واحد ، ولا حرج من التخصيص بعد التعميم على الإجمال

نقول هذا من الوجهة العامة التى لا ترتبط بالفلسفة الثنائية المادية أو بغيرها من الفلسفات .

أما إذا رجعنا إلى مصطلحات الفلسفة المادية الثنائية فهنالك يبدو جلياً أن أصحاب تلك الملاحظة لم يطلعوا على بحث واحد من بحوثها المطولة فى مراجعها المعتمدة ؛ لأن شراح الفلسفة المادية الثنائية قد استخدموا فى هذا الباب كل مصطلح يخطر على البال فى معنى المخالفة والمباينة

فاستخدموا معنى التناقض فى كل شرح من شروحهم المطولة Contradictions أو Contrasts .

واستخدموا معنى التضاد (أو التقابل) Opposites

واستخدموا معنى التقابل antisethis

واستخدموا معنى التغاير Change

واستخدموا فى جميع هذه الأحوال كلمة التنافى أو التناسخ .أو التناقض فى أقوى معانيه Negation

فمن أمثلة استخدامهم لمعنى التناقض شعارهم الذى اقتبسوه من هيجل حيث يقول بالنص الإنجليزى :

Contradiction is the root of all movement and vitality

وترجمتها : « أن التناقض هو جذر كل حركة وحيوية »

ومن أمثلته قانونهم الثالث الذى يقولون فيه بالنص الإنجليزى:

Each state or phase of development is considered a synthesis . which resolves the contradictions contained in the preceding syntheals.

وترجمته :« إن كل حال أو وجه من أحوال التطور ووجوهه يعتبر تركيبة تقرر النقائض المطوية فى التركيبة السابقة »

ومن أمثلة استخدامهم لمعنى التضاد قانونهم الأول الذى نصه بالإنجليزية The law of the unity and Conflict of opposites

وترجمته : « قانون الاتحاد والتنازع فى الأضداد »

ومن أمثلته قول لينين فى شرح هيجل بنصه الإنجليزى :

Develofment is in fact the conflict of opposites

وترجمته :«إن التطور فى الواقع إنما هو التنازع بين الأضداد»

ومن أمثلة استخدامهم لمعنى التقابل قول كارل ماركس فى شرح نشأة رأس المال :

The synthesis negates and overcomes both the thesis and also the antithesis

وترجمته : « إن المركب ينقض المقر كما ينقض ما يقابله ويتغلب عليهما »

ومن أمثلة استخدامهم لمعنى المغايرة كلام الفيلسوف الشيوعى بلخانوف p'ekhanov فى شرح هيجل : « إن الثنائية هى تغاير أبدى فى الصور » Eternal change of forms

أما التنافى أو التناسخ أو التناقض ، فأكثر من أن يؤتى له بشاهد أو بضعة شواهد ، وحسبك منه نص القانون الثالث ، وهو قانون نفى النفى أو نسخ النسخ أو نقض النقض كما يسمونه : The negation of negation ولا يخلو مبحث واحد من مباحث شراحهم من تكرار هذه الكلمة عشرات المرات فى كل سياق

فنحن قد لخصنا مذهب القوم بعباراتهم ، ولم نأت بكلمة من عندنا فى معناها اللغوى أو معناها النطقى أو اصطلاحها الفلسفى الذى أرادوه ، وقد ذكرنا النقائض والأضداد لأنهم أكثروا من ذكرها فى أمهات كتبهم ومطولات شروحهم ، ولم يدعوا لوناً من ألوانها فى التعبير الفلسفى والتعبير اللغوى إلا ذكروه وكرروه

ولم يخطئ القوم فى استخدام هذه المصطلحات ، لأنها تلزمهم جميعاً فى مواضعها وتفيدهم فى تفسير أطوار المادة وأطوار المجتمع الاقتصادية على اختلافها وتعاقب مظاهرها وصفحاتها

ولكنهم إذا استغنوا عن بعض هذه المصطلحات فهم أحوج ما يكونون إلى مصطلحين منها ، وهما النقائض والأضداد

فلا يخفى أن مذهب القوم يدور على الحتم واللزوم ، وقد سماه بعضهم بالحتمية المادية أو material determinism ، لأنه لا يسمح بفكرة المشيئة الإلهية التى تقضى بالإرادة والاختيار فى تدبير هذا العالم

فالحالة المادية تخرج نقيضها على سبيل الحتم واللزوم لا على سبيل المشيئة والتدبير ، ولهذا وجب عندهم أن تخرج نقيضاً واحداً لا اختيار فيه ، ولو كانت تخرج شيئاً فى طبيعية الأضداد المتعددة لاقتضى ذلك مشيئة تميز بين الأضداد وترجح بعضها على بعض فى التطور من حال إلى حال . ولا يخفى أن الشىء قد تكون له أضداد كثيرة غير أضداد التقابل ولا يكون له غير نقيض واحد ليس يقبل التعدد والتكرار

فذكر النقيض فى مذهبهم لازم على قدر ما فى هذا المذهب من الحتم واللزوم

أما الأضداد فلزومها عندهم أن الحالة اللاحقة تنقض الحالة السابقة ، ولكن السابقة لا تنقض اللاحقة ولا تبطلها ولا تنفيها . فهى مضادة لها وليست ناقضة لها أو واقفة عندها موقف النقيض من النقيض

ومثال ذلك فى مذهب القوم أن طور الصناعات البخارية ينقض طور الصناعات اليدوية لأنها تأتى بعدها . ولكن الصناعات اليدوية لا تنقض الصناعات البخارية التى تعقبها ، وكذلك عصر المدن التجارية ينقض عصر الإقطاع ، ولكن عصر الإقطاع لا ينقض عصر المدن التجارية ، وقس على ذلك جميع الأدوار فى ترتيب التطور الاقتصادى ، أو ترتيب التطور فى مادة الكون على التعميم

فإذا تعددت هذه الحالات ، فالأصح أن تسمى كلها أضداداً بعضها لبعض ، لأن هذه الصفة تصدق عليها جميعاً بلا استثناء ، ولكنك لا تسمى السابق منها ناقضاً لما يأتى بعده ولا مناقضاً له إلا فى عالم العقل دون عالم الواقع الذى يفسره الماديون الثنائيون .

وبعد ، فهذه همسة فى الآذان المفتحة ، وعركة فى الآذان المغلقة ، وقد يفتح المرك ما استغلق من الآذان !!

عباس محمود العقاد